وقائع مؤتمر

الإمام الحسين الدولي الرابع عليه السلام

٢٢٩ / ٣٠٧٠٦٣
م ٤٩٨ مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي (٤ : ٢٠٢٣: كربلاء).
وقائع مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي الرابع: القرآن الكريم وقضايا المجتمع المعاصرة/ المؤتمر . - ط١. -
كربلاء: دار الوارث ،٢٠٢٣.
٨٢١ص. :٢٤سم
١. القرآن والمجتمع - مؤتمرات. / . العنوان.
م. و .
٣٦١٥ / ٢٠٢٣
المكتبة الوطنية / الفهرسة أثناء النشر

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٣٦١٥) لسنة ٢٠٢٣

الناشر: دار القرآن الكريم - العتبة الحسينية المقدسة
التصميم والاخراج الفني: قحطان عامر الطائي
الطبعة/ الأولى
سنة الطبع/ ١٤٤٥ هـ / ٢٠٢٣
المطبعة/ دار الوارث للطباعة والنشر

تمت ترجمة الملخصات في العتبة الحسينية المقدسة، مركز الاعلام الدولي،
ترجمة: أبا الحسن عباس

وقائع مؤتمر

الإمام الحسين عليه السلام الولي الرابع

المنعقد بعنوان

القرآن الكريم وقضايا المجتمع المعاصرة

بالتعاون مع جامعة الزهراء عليها السلام للبنات في كربلاء المقدسة

للمدة من ١٥-١٧-٢٠٢٢م

الموافق ٨-١٠ شوال ١٤٤٣هـ

اللجنة المشرفة

أ. د. زينب عبد الحسن الملا السلطاني/ رئيس جامعة الزهراء عليها السلام للبنات

أ. د. نجاح فاهم العبيدي/ جامعة كربلاء

د. الشيخ خير الدِّين الهادي/ رئيس قسم دار القرآن الكريم

د. السيد مرتضى جمال الدِّين/ المعاون العلمي لرئيس قسم دار القرآن

اللجنة العميَّة

أ.د. ضرغام كرم كاظم الموسوي/ عميد كليَّة العلوم الإسلاميَّة جامعة كربلاء

أ.د. خليل شكري هيَّاس/ رئيس قسم اللغة العربيَّة جامعة الموصل

أ.م.د. طلال فائق مجبل الكمالي/ عميد كليَّة العلوم الإسلاميَّة جامعة الوارث

أ.م.د. سحر ناجي فاضل المشهدي/ الكليَّة التربويَّة المفتوحة مركز النجف الأشرف

أ.م.د. خالد محمود حمي/ جامعة الموصل

م. د. عماد طالب موسى/ وزارة التربية مديريَّة تربية كربلاء

م. د. عمَّار حسن عبد الزَّهرة/ وزارة التربية مديريَّة تربية كربلاء

د. باسم دخيل مراد العابدي/ كليَّة المعارف الإسلاميَّة

م. م. علي فليح علي الفتلاوي/ جامعة كربلاء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ النساء (١١٤)

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدِّمة:

الحمد للهِ الذي لا تُدركه الشواهد، ولا تحويهِ المشَاهِد، ولا تراهُ النَّواظِر، ولا تحجُبُهُ السَّوَاتِر، الـدَّالِ على قدمهِ بحدوثِ خلقِهِ على وجـودِه، وبحدوثِ خلقهِ على وجودِه، وباشتباهِهم على أن لا شَبَه له، الذي صدق في مِيعادهِ، وارتفع عن ظُلمِ عِباده، وقامَ بالقِسطِ في خلقِهِ، وعَدَلَ عليهِم في حكمه، مستشهدًا بحدوثِ الأشياءِ على أزليته..

اللهمَّ اجعل شرائف صلواتِك، ونوامي بركاتِك، على محمَّدٍ عبدِك ورسولِك، الخاتِم لمَا سبق، والفاتِح لما انغلق، والمُعْلن الحقَّ بالحقِّ، والدَّافع جيشات الأباطيل، والدَّامغِ صولاتِ الأضاليل.

وصلِّ اللهمَّ على أهلِ بيته، شجرةِ النُّبوَّة، ومحطِّ الرِّسالة، ومختلفِ الملائكة، ومعادن العِلم، وينابيعِ الحُكم.

وبعد ...

فقد عمل قسم دار القرآن الكريم في العتبة الحسينيَّة المقدَّسة على رعاية كتاب الله تعالى بشتَّى الجوانب، وبذل الجهود الكبيرة من أجل توثيق الصِّلة بينه وبين المجتمع على اختلاف شرائحه، وكان نتيجة ذلك انبثاق مشاريع كثيرة يطول ذكرها، ومن تلك المشاريع إقامة المؤتمرات السنويَّة الدَّوليَّة؛ بغية تصدير المعرفة القرآنيَّة إلى المؤسَّسات العلميَّة والحوزويَّة والأكاديميَّة، ومن جملة المؤتمرات التي يرعاها قسم دار القرآن الكريم في العتبة الحسينيَّة المقدَّسة مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدَّولي السنوي، وقد عُقِد في نسخته الرابعة بعنوان: (القرآن الكريم وقضايا المجتمع المعاصرة) الموافق ١١/ ٥/ ٢٠٢٢ م.

وذلك لما لهذا الموضوع من أهميَّة قصوى في الحياة المعاصرة نتيجة ظهور آفاتٍ مجتمعيَّةٍ كثيرةٍ، فكان لزامًا أن تتصدَّى المؤسَّسات العلميَّة لوضع بعض المعالجات، وأهمُّ الأسس في هذا الجانب القرآن الكريم بوصفه العماد الأساس في تربية الإنسان وضمان الحياة الكريمة له، بعيدًا عن الشذوذ والآفات المجتمعيَّة، فكان القرآن الكريم خير معتمدٍ في مواجهة ما تعمل عليه الجهات العالميَّة المنحرفة في إشاعة السلبيات بين فئات المجتمع؛ إرضاءً لانحراف سلوكهم، أو بغية تحقيق مآرب مشبوهةٍ، أو منافع شخصيَّة، أو تحقيق هدفٍ شيطاني تسعى إليه القوى المهيمنة الظالمة في حربها لله تعالى وأوليائه، ومن هنا فإنَّهم بدأوا باستهداف القرآن الكريم حرقًا فيه وتمزيقًا له وبثًّا للشبهات في مضامينه؛ لمعرفتهم بقوَّة تأثيره في مواجهة انحرافهم ومآربهم، ولهذا فإنَّ علينا أن نبذل كلَّ ما بالوسع من أجل إيصال رسالة القرآن الكريم إلى كلِّ أرجاء المعمورة؛ حتَّى يعمَّ نوره كلَّ موطنٍ فيها وتكون الحجَّة البالغة لله تعالى، وعلى هذا الأساس كان انطلاق دار القرآن الكريم في عملها المعرفي من جعل القرآن الكريم والعترة الطاهرة أساسًا في تبنِّي المشاريع الإصلاحيَّة، إيمانًا بحديث الثقلين الذي جعل الرسول صلى الله عليه وآله القرآن وأهل بيته العاصمين من الضَّلال، ومن هنا عوَّل قسم دار القرآن الكريم في هذا المؤتمر على مراقبة بعض الأطر الإصلاحيَّة في القرآن الكريم على وفق ستِّة محاورٍ هي:

١. أنماط العلاقات الاجتماعيَّة على وفق المنظور القرآني.

٢. المجتمع المثالي في ضوء النَّصِّ القرآني.

٣. تحديات الحياة اليوميَّة وصورة معالجتها قرآنيًّا.

٤. القرآن والتغيرات الثقافيَّة.

٥. تقييم المشكلات الاجتماعيَّة المعاصرة من المنظور القرآني.

٦. الإصلاح الاجتماعي عند الإمام الحسين عليه السلام من المنظور القرآني.

وقد ورد لقسم دار القرآن الكريم بإزاء هذه المحاور مجموعة من البحوث تربو على الخمسين بحثًا من دول مختلفة، ناقشت مجموعة من القضايا المجتمعيَّة المعاصرة مع وضع بعض الحلول التي تلائم تلك القضايا من القرآن الكريم، وبعد عرضها على اللجان العلميَّة ترشَّح عدد منها وعمد قسم دار القرآن الكريم أن يطبعها في هذه الوقائع؛ تلبيةً للحاجة المعرفيَّة، وإسهامًا منه في رفد المكتبة الإسلاميَّة بالدِّراسات والبحوث الرصينة المعتمدة على المنهج العلمي في متابعة الأفكار ورصدها.

وآخر دعوانا أنِ الحمد لله ربِّ العالمين وصلَّى الله على محمَّدٍ وآله الطاهرين

المحور الخامس

تقييم المشكلات الاجتماعية المعاصرة من المنظور القرآني

التركيب المنتظم لألفاظ الحرب في القرآن الكريم
دراسة في أقوال المؤمنين أُنموذجًا

أ.د. هاشم جعفر حسين الموسوي

جامعة بابل / كلية التربية للعلوم الإنسانية

الملخَّص:

ذكر القرآن الكريم أقوالًا تَلَفَّظَ بها المؤمنون المقاتلون استعدادًا لملاقاة الأعداء وعند لقائهم، وقد كشفت هذه الأقوال عن مراتبهم واستحقاقاتهم، بناءً على أمور عدة بيّنها النصّ القرآني، أهمها: اختلاف مقامات الاستعداد، وقوة العزيمة، وتباين نيّة المقاتلين عند خوض المعركة، فورد الجزاء على قدر النيّة الباطنية والفعل الظاهري، وكانت الألفاظ التي وردت في النص القرآني أمارةً على تلك النيّات ومقدار الفعل ومرتبة الجزاء المُعَدِّ لكلٍّ ذلك.

وقد تجمّعتْ لديَّ من استقراء نصوص القرآن الكريم بحسب ترتيبها على السور جملةٌ من تلك الأقوال، يمكن أن تُقسَّم على قسمين، أحدهما: أقوال المؤمنين في المعارك التي وردت قبل الإسلام، وشملت ثلاثة نصوص، ضمَّ الأوَّل أقوال المؤمنين الذين قاتلوا مع الملك طالوت، واحتوى الثاني على قول الرِّبِّيّين الذين قاتلوا بإمرة مجموعة من أنبيائهم، واشتمل الثالث على قول الرجلينِ المؤمنَينِ من قوم النبي موسى عليه السلام، فذكر القرآن الكريم ما صدر عنهم من أقوال وأفعال على سبيل القدوة الحسنة التي يجب أن يتبعها ويقتدي بها المؤمنون من أمّة خاتم الأنبياء والمرسلين.

والقسم الآخر: شمل أقوال المؤمنين الذين قاتلوا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله)، في واقعتين مختلفتين، إحداهما كانت بعد وقعة أحد وسُمِّيت بوقعة (حمراء الأسد)، والأخرى كانت في وقعة الأحزاب.

على أنَّ المتأمل في هذه النصوص يرى الوشيجة متصلة بالغرض الذي تسعى هذه النصوص لإقراره في نفوس الذين ينبرون للدفاع عن دينهم ومقدساتهم، فما نقله القرآن من أقوال وردت عن مجاهدي الأمم التي سبقت، فضلًا عن مجاهدي هذه الأمة، لم يكن ذكرها وتمجيدها إلا لبثِّ العزيمة ورفع معنويات المقاتلين السائرين في

ركابهم، وتذكيرهم بالاقتداء بما صدر من أقوال هؤلاء السالفين الكاشفة عن مقامات نفوسهم العالية، والحثّ على تدبُّر تلك الأقوال والانتفاع من مضامينها، وأخذ العبرة منها لتحقيق النصر على الأعداء.

وسأعرض لهذه الأقوال كلّ على حدة، بحسب ما ذُكر من تسلسل، مع بيان لمحات بيانية في النصوص الي وردت فيها، بالاعتماد على سياقاتها الداخلية والخارجية، بحسب ما يقتضيه المقام، وعلى قدر الوسع والطاقة. والله الموفق.

الكلمات المفتاحيَّة: التركيب المنتظم، ألفاظ الحرب في القرآن الكريم، أقوال المؤمنين.

Axis V:

Summary:

The Holy Quran mentioned statements made by the believers' fighters in preparing to meet the enemies & during wars; those statements have revealed their rank and entitlements based on various things, including the Quranic text, the most important of which are: Different levels of preparation, the power of willingness, and the variety of the fighters' intentions during battles so that the reward will be given according to the good inner Intention & Good apparent act they do.

The words in the Quranic text were the responsible for those intentions, the amount of the act, and the reward's rank prepared for all of that.

I have gathered several statements from the Holy Quranic texts and made their extrapolation; according to their order on the Surah(s). This can be divided into two sections; the first one: Is about the believers' statements during wars that happened before Islam, which included three texts: The 1st one mentions the believers' Statements about those who fought with King Talout. The 2nd text about (Al-Rabbeen): "Those who fought under the command of a group of their prophets."

Whereas the 3rd is about the two believers men of the prophet Moses's people, the Holy Quran has mentioned what they say and act to be examples and ideals that must be followed by true believers of the prophet Mohammad's nation.

The 2nd section: has included the believers' statements who fought under the command of prophet Mohammad in two different battles, one of which occurred after (the Ohud Battle), which was named by (Hammra'ao Al-Asad), while the 2nd happened in the Al-Ahzaab battle.

However, the reader of these texts sees the bond connected with the purpose that the texts seek, to establish in those who stand to defend their religion and Holy places, what Quran has quoted of statements stated by previous nations' strivers (soldiers), in addition to this nation, wasn't mentioned and glorified but to distribute determination and raise the fighters' spirit, to make them always remembering the high souls' spirits of previous Fighters, urging them to understand those statements and get the benefits of their contexts, and to keep it as a lesson to achieve victory

over enemies.

I will present these statements individually, according to the sequence mentioned, with a glimpse into the texts to which they appear, depending on their internal and external contexts, as required by the place. May Allah helps me to achieve it.

توطئة:

ذكر القرآن الكريم أقوالًا تَلَفَّظَ بها المؤمنون المقاتلون استعدادًا لملاقاة الأعداء وعند لقائهم، وقد كشفت هذه الأقوال عن مراتبهم واستحقاقاتهم، بناءً على أمور متعددة بيّنها النصّ القرآني، أهمها: اختلاف مقامات الاستعداد، وقوة العزيمة، وتباين نيّة المقاتلين عند خوض المعركة، فورد الجزاء على قدر النيّة الباطنية والفعل الظاهري، وكانت الألفاظ التي وردت في النص القرآني أمارةً على تلك النيّات ومقدار الفعل ومرتبة الجزاء المُعَدِّ لكلٍّ ذلك.

وقد تجمَّعتْ لديَّ من استقراء نصوص القرآن الكريم بحسب ترتيبها على السور جملةٌ من تلك الأقوال، يمكن أن تُقسَّم قسمين، أحدهما: أقوال المؤمنين في المعارك التي وردت قبل الإسلام، وشملت ثلاثة نصوص، ضمّ الأول أقوال المؤمنين الذين قاتلوا مع الملك طالوت، واحتوى الثاني على قول الرِّبِّيّين الذين قاتلوا بإمرة مجموعة من أنبيائهم، واشتمل الثالث على قول الرجلينِ المؤمنَينِ من قوم النبي موسى عليه السلام، فذكر القرآن الكريم ما صدر عنهم من أقوال وأفعال على سبيل القدوة الحسنة التي يجب أن يتبعها ويقتدي بها المؤمنون من أمّة خاتم الأنبياء والمرسلين.

والقسم الآخر: شمل أقوال المؤمنين الذين قاتلوا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم)، في واقعتين مختلفتين، إحداهما كانت بعد وقعة أحد وسُمِّيت بوقعة (حمراء الأسد)، والأخرى كانت في وقعة الأحزاب.

على أنّ المتأمل في هذه النصوص يرى الوشيجة متصلة بالغرض الذي تسعى هذه النصوص لإقراره في نفوس الذين ينبرون للدفاع عن دينهم ومقدساتهم، فما نقله القرآن من أقوال وردت عن مجاهدي الأمم التي سبقت، فضلًا عن مجاهدي هذه الأمة، لم يكن ذكرها وتمجيدها إلا لبثِّ العزيمة ورفع معنويات المقاتلين السائرين في

ركابهم، وتذكيرهم بالاقتداء بما صدر من أقوال هؤلاء السالفين الكاشفة عن مقامات نفوسهم العالية، والحثّ على تدبُّر تلك الأقوال والانتفاع من مضامينها، وأخذ العبرة منها لتحقيق النصر على الأعداء.

وسأعرض لهذه الأقوال كلّ على حدة، بحسب ما ذُكر من تسلسل، مع بيان لمحات بيانية في النصوص التي وردت فيها، بالاعتماد على سياقاتها الداخلية والخارجية، بحسب ما يقتضيه المقام، وعلى قدر الوسع والطاقة. والله الموفق.

القسم الأول: أقوال المؤمنين في المعارك التي وردت قبل الإسلام:

أوَّل هذه الأقوال ما ورد في (سورة البقرة / الآية ٢٤٩)، إذ قال تعالى: ﴿**فَلَمَّا فَصَلَ طالُوتُ بِالْجُنُودِ قالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قالُوا لا طاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجالُوتَ وَجُنُودِهِ قالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُوا اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾.

إذ تورد الآية الكريمة أحداثًا وقعت في تاريخ الأمم التي سبقت، فتنقلنا إلى الحال التي كان عليها المقاتلون مع طالوت (وهو ملك من ملوك بني إسرائيل، اختاره الله -عزّ وجلّ- واصطفاه عليهم)، وقد بدأ طالوت بإعداد الجيش، ثم فصل بهم فأخرجهم عن مقرّهم ورتّبهم استعدادًا لقتال أعداء الله (وهم جالوت وجنوده).[1]

ومن مجمل سياق الآية الكريمة يمكن أن نلتمس أمورًا مهمة يجب أن تتوافر ليتحقق النصر، ومن ضمنها كلام المؤمنين عند الاستعداد للقتال ولقاء العدو، ومن هذه الأمور الآتي:

(١) ينظر: درج الدرر في تفسير الآيِ والسور، عبد القاهر الجرجاني ١/ ٣٤١، ونور الثقلين، عبد علي بن جمعة ١/ ٢٤٨، والميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي ٢/ ١٨٣.

١- أنَّ الرغبة الوقتية في قتال أعداء الله والذبِّ عن المقدَّسات والحرمات، وهيجان النفس لها، لا يكفي لإثبات صدق المدَّعي، فبنو إسرائيل هم مَن طلب من نبيِّهم أن يقاتلوا مع ملك يختاره لهم؛ ليدافعوا معه عن الدين ويدفعوا عن حرماتهم، ولكن النتيجة كانت فشل أكثرهم، وبطلان دعواهم عند الاختبار، وسيتضح ذلك في النقطة اللاحقة.

٢- أنَّ اختبار الجنود أمر لا بُدَّ منه، ليتضح الصالح منهم عقيدةً، من الطالح الذي يكون مقامه بين العسكر وبالًا عليهم وضرًّا بهم، فليس العبرة بكثرة الجنود؛ بل العبرة بالاستعداد النفسي لنصرة الدين، وإطاعة الأوامر الإلهية، والثبات في المعركة. وقد كان اختبار طالوت لجنوده اختبارًا إلهيًا كاشفًا عن الروح المعنوية للجنود، مُميِّزًا للثابت منهم على إيمانه الحافظ لذمامه من غيره من المُدَّعِين، فاختبرهم طالوت بشرب الماء في وقت شدّة الحاجة إليه وتزايد الطلب عليه مع اشتداد الحرِّ وثقل المسير[1]، فأبلغهم طالوت بأنّ ذلك اختبار لهم من الله، فمَن شرب من النهر وارتوى فقد فشل في طاعة الأوامر الإلهية فلا يصح أن ينتسب إلى جنود الله، ومَن اغترف غرفة من الماء بيده فحسب، أو مَن التزم حرفيًا بالأمر فلم يشرب البتّة، فهؤلاء من المؤمنين المفلحين، المتشرفين بحمل لواء القتال للدفاع عن دين الله، وهم قلة ثبتوا مع طالوت، أمّا العدد الأكبر فقد فشل في الاختبار.

وإنّما أضاف طالوت الاختبار إلى الله تعالى فقال: ﴿**إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ**﴾، ليُعظِّم ذلك الأمر في نفوسهم [2]، وليشير أيضًا إلى أنّه منتسب إلى الله سبحانه، إذ هو الذي اصطفاه لهذا المقام، فالأمر وإن صدر من طالوت إلا أنَّه منسوب في حقيقته إلى الله تعالى، ثم ليستشعر هؤلاء وجوب طاعتهم الأمر، وليفهموا أنّ هذه الطاعة موجبة لتحقُّق الظفر على الأعداء.

(١) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر الشيرازي ٢/ ٢١٥.
(٢) ينظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن، عبد الأعلى السبزواري ٤/ ١٤٨.

ومن هذا كلِّه يتضح أنّ اختبار الجنود قبل المعركة من الأمور الموجبة لتحقق النصر، وأنّه أيضًا من الأمور المُبينة عن استعدادات الجنود وتباين مراتبهم في الصبر وتغاير درجات الإخلاص بينهم، فمَن لم يتذوّق الماء هم الكُمَّل إخلاصًا لله، الأعلون صبرًا على الشدائد، السبّاقون إلى طاعة الله سبحانه ومَن يُنصبه عليهم. وترتّب على ذلك أن اختلفت كلمات الفريقين حين جدّ الأمر واحتدم، وسيتضح ذلك في النقطة اللاحقة.

٣- أنَّ الذين اغترفوا الغرفة يبدو أنّهم هم القائلون ﴿**لا طاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجالُوتَ وَجُنُودِهِ**﴾، ذلك أنّهم نظروا إلى الأمور الحسيّة فقاسوا تحقُّق النصر من عدمه على وفق هذا القياس[١]، فوهنت عزيمتهم لما رأوا كثرة عدد جنود جالوت وعدّتهم. ومعه يظهر أن اغترافهم الماء - وإن كان جائزًا - لم يحقق الاستجابة التامّة للأمر الإلهي، ذلك أنّ مَن يُوطِّن نفسه لملاقاة الله عليه أن يفنى شوقًا لذلك اللقاء، فلا يحسب للجسد حساب، وهؤلاء لم يصلوا إلى هذه المرتبة الرفيعة، فجاء كلامهم ليكشف عن هذه النفوس التي لم تستكمل إيمانها، فنطقوا بمكنون ما حوت أنفسهم فقالوا على سبيل الوثاقة: ﴿**لا طاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجالُوتَ وَجُنُودِهِ**﴾ بنفي جنس القوة والقدرة عن ملاقاة العدو، والأمر يظهر صوابه للذي ينظر إلى الأمور بظواهرها، أما المستبصر فهم الفئة القليلة الثانية الذين قالوا: ﴿**كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾ فهؤلاء قد تمكّنت قدرة الله في قلوبهم، فوطّنوا أنفسهم لملاقاته، واستعدّوا لذلك، فظهر ما أضمروا في قولهم، فخلّد الله موقفهم وكلامهم، وجعله سُنّة حسنة لِمَن وطّن نفسه على ملاقاة ربّه.

ويُفاد من نصِّ كلامهم أنّ كثرة الجنود ليست هي منشأ النصر والغلبة على الأعداء؛ بل هي من بعض الأسباب الظاهرية لتحقق ذلك[٢]، أمَّا السبب الحقيقي للنصر فهو إرادة الله وإذنه بالغلبة للمؤمنين، وقد ثبت ذلك بالأدلة النقلية والعقلية، ومنها ما ذكر في ذيل الآية

(١) ينظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن، عبد الأعلى السبزواري ٤/ ١٥٠.
(٢) ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي ١/ ١٢٦.

الكريمة: (**واللهُ مع الصابرين**)، ذلك أنّ معيّة الله مع الصابرين معيّة قيّوميّة ظاهرة في تسبيب أسباب النصر، فلا يعقل معها الهزيمة.

وفي ذلك بشارة للصابرين بالجزاء الجميل، وتلقين لجنود الله بالثبات والصبر عند الاختبار، وعند اختلاف الأهواء، فتشتدّ العزيمة ويتحقق النصر بإذن الله.

ثم ينقل النص القرآني في الآية الكريمة اللاحقة (سورة البقرة/ الآية ٢٥٠) كلام المؤمنين حين التقوا بأعداء الله، فقالوا: ﴿**رَبَّنا أَفْرِغْ عَلَيْنا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدامَنا وَانْصُرْنا عَلَى الْقَوْمِ الْكافِرِينَ**﴾، وفي إيكال الأمر إليه سبحانه من أوّل كلامهم إيذانٌ بشدّة توكلهم على الله ووعيهم لحقيقة أسباب النصر وتعلّقها بإذن الله (عزّ وجلّ)، وإفراغ الصبر كناية عن الفيض السيّال، فقد طلبوا كمال الصبر وتمامه. وطلبهم ثبات الأقدام في المعركة فيه الدلالة على توطين القلب على تحمُّل الشدة[١]، وإنّما قدّموا الصبر على طلب ثبات الأقدام؛ لأنَّ الصبر منشأ الثبات على الحق وسببه، وعلة النصر وتحققه[٢]، وفي استعمال لفظ (ربَّنا) دلالة على تحسسهم قرب مَن التجأوا إليه وتحنّنه عليهم ومعيّته معهم، وانقطاعهم إليه في شدتهم، فكانت النتيجة لهذه المقدمات وما تلفّظوا به من دعوات صادقة وكلام يقيني أن مَنَّ اللهُ عليهم بنصره ووفقهم إلى مرضاته.

ونقل القرآن الكريم كلام الرِّبِّيّين (وهم المنسوبون إلى الرب، انقطاعًا له في العبودية والإخلاص)[٣] الذين قاتلوا مع أنبيائهم على مرِّ التاريخ، وخلّد ألفاظهم لتتمَّ الحجة على اللاحقين من المؤمنين حين اشتداد البأس، فقال تعالى في (سورة آل عمران/ الآية ١٤٧): ﴿**وَما كانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَنْ قالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا وَإِسْرافَنا فِي أَمْرِنا وَثَبِّتْ أَقْدامَنا وَانْصُرْنا عَلَى الْقَوْمِ الْكافِرِينَ**﴾.

(١) ينظر: التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ٩/ ٥٦.
(٢) ينظر: مواهب الرحمن ٤/ ١٥٥.
(٣) ينظر: التبيان في تفسير القرآن، الطوسي ٣/ ٩، والأمثل ٢/ ٧٢٤.

وفي الآية بيانٌ للجانب الأهمّ الذي يجب أن يراعيه المقاتل المؤمن لتحقيق النصر، وهو جانب الاستغفار لما صدر وما سيصدر من هفوات وزلّات وتجاوز، فقد اعترف هؤلاء بالتقصير في مقام العبودية، واستصغروا تضحيتهم بجنب الله، فطلبوا ما يوجب كمال الانقطاع إليه، مؤمنين بأن النصر سيكون نتيجة حتمية لاستغفارهم [١].

وينقل القرآن الكريم في (سورة المائدة: الآية ٢٣) قولًا لرجلين من قوم موسى عليه السلام أنعم الله عليهما بالإيمان، فكانا يخافان الله ويخشيان أن يعصيا أوامر الله (عزّ وجلّ) الواردة إلى عباده من طريق النبي موسى؛ إذ أمر هذا النبي قومه من بني إسرائيل بأن يدخلوا الأرض المقدسة التي باركها الربّ وجعلها لهم سكنًا رغدًا إنْ هم أطاعوا الأوامر، غير أنّهم خالفوا أمر الله سبحانه وعصوا قول نبيِّهم، وبالغوا في رفضهم أوامره، ممّا كشف عن وقاحة مستأصلة في نفوسهم وعصيان له قرار في قلوبهم تجاه الأوامر الإلهية، لم ينفع في استئصاله ما رأوه من معجزات أظهرها الله لهم، وكرامات جرت على يدي نبيِّهم، ولا غير ذلك من المحن التي اكتنفتهم، والنكسات التي مرّت بهم عندما كانوا عبيدًا في دولة مصر، قد ضُربت عليهم خيام الذلة والمسكنة، فاستنقذهم الله بفضله وأتمَّ عليهم نعمتَه بموسى عليه السلام، فبدل أن يطيعوا أمره، إذ قال لهم: ﴿**يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَرْتَدُّوا عَلى أَدْبارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خاسِرِينَ**﴾ (سورة المائدة: ٢١)، عصوه فقالوا: ﴿**يَا مُوسى إِنَّ فِيها قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَها حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْها فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْها فَإِنَّا داخِلُونَ**﴾ (سورة المائدة: ٢٢).

ولعلّ استعمال الأداتين (لن) و(أبدًا) في مقام النفي في جواب بني إسرائيل، فيه الدلالة البالغة على وهن نفوسهم وخلوِّها من الإيمان، ذلك أنّ الأداتين تفيدان تأبيد الامتناع عن طاعة أمر النبي موسى عليه السلام، وارتكاز هذا الأمر في قلوبهم، واتِّكالهم على المعجزات الإلهية في تدبير شؤونهم، بدلًا من السعي والاجتهاد والبذل والتضحية والالتزام بالأوامر الإلهية الكفيلة بتحقيق المطالب [٢]

(١) ينظر: مواهب الرحمن ٦/ ٣٤٨.
(٢) ينظر: الأمثل ٣/ ٦٦٦.

وفي قبالة ذلك تُبيِّنُ لنا الآياتُ المباركة مرتبةَ إيمان رجلينِ مُسَلِّمَينِ تسليمًا تامًّا لما يُقرِّره الله ورسولُه، فيُظهِر نصُّ الآية الكريمة هذا المعنى، إذ يقول تعالى: ﴿**قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾.

ونستشف من هذا النصِّ الأمور الآتية:

١-أنَّ هذا القول الذي صدر عن هذين الرجلين المؤمنين إنّما قيل في ظروف مادية ونفسية صعبة جدًا، إذ تخلى قوم النبيّ عنه في حال الحرب وأفردوه لجيش معادٍ ذي عدّة قوامها الآلاف من العمالقة الجبارين من ذوي الأجسام الضخمة والأطوال الخارقة التي نُسجت فيها الأساطير، ممّا يُرهب القلب ويوهن العزيمة[١]، غير أنّ هذين الرجلين قد امتلأ قلباهما بالإيمان، فقالا هذا القول الكاشف عن درجة عالية من الإيمان والتسليم لأوامر الله والطاعة لنبيِّه.

ولعلّ هذا يؤيد الروايات الواردة في تحديد هوية هذينِ المؤمنَينِ، بأنّهما كانا من نقباء بني إسرائيل، ومن المقربين صلة بالنبي موسى عليه السلام، وهما يوشع بن نون، وكالب بن يافنا[٢].

٢-بموازنة قول هذينِ المؤمنَينِ بقول القوم العاصين، يتضح أنّ قِوام الظفر في الحرب هو الخشية من الله سبحانه واتباع أوامره والتسليم والطاعة له ولأنبيائه وأوليائه والتوكُّل عليه في الشؤون كلِّها فهذان الصالحان قد قدَّما الرأي الحصيف للجيش، لكي ينتصر على العمالقة و يستولي على بلادهم، فقالا: ﴿**ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾.

وإنّما صار طريق النصر في تلك الحرب مرهونًا بدخول باب مدينة الجبارين، لما في ذلك

(١) ينظر: التبيان في تفسير القرآن ٣/ ٤٨٢-٤٨٣، و مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي ٣/ ٢٧٥، و الأمثل ٣/ ٦٦٦.

(٢) ينظر: التبيان في تفسير القرآن ٣/ ٤٨٤، و مجمع البيان ٣/ ٢٧٨، وبحار الأنوار، المجلسي ١٣/ ١٨٠، ونور الثقلين ٢/ ١٧١، والميزان٥/ ١٦٨، و الأمثل ٣/ ٦٦٦.

من ابتلاءٍ لإيمان القوم وغربلةٍ لمعنوياتهم وللكشفِ عن درجة استحقاقهم لوعد الله بكتابة الأرض المقدسة لهم، فقد فشلوا في الاختبار فشلًا ذريعًا، على الرغم من كثرة أعدادهم (قيل: كانوا ستمئة ألف)[1]، فاستحقوا العقوبة الإلهية من جبار السموات والأرض حين خافوا الجبارين المملوكين له، فمكثوا في تيه الصحراء أربعين سنة، استحقاقًا لهم على عصيان أوامر الله ورسوله والإعراض عن تحذير نبيِّهم ونصيحة الرجلينِ المؤمنينِ، ولو أنّهم توكّلوا على الله في كلِّ خطوة من خطواتهم لكفاهم عدوَّهم وحقّق لهم ما وعدهم به على لسان نبيّه: ﴿**يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَرْتَدُّوا عَلى أَدْبارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خاسِرِينَ**﴾.

٣- يظهر في التركيب اللغوي الذي انتظم قول هذينِ الرجلينِ تقدُّمُ جواب الشرط على أداة الشرط وفعل الشرط، في قولهم: ﴿**وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾، وهو تركيب طارئ في هذه الجملة، إذ المعلوم أنّ رتبة تقدُّمِ الشرطِ على الجواب من الرُّتب المحفوظة في النظام النحوي، ذلك أنّ جملة الشرط تؤدّى بسببٍ يُقدَّم ونتيجةٍ تُؤخَّر، غير أنّ هذا التركيب الطارئ بما فيه من تقديم وتأخير هو معتمد الفائدة هنا، تحقيقًا لمقتضيات الكلام وما تُنبئ عنه من دلالات مرادة لا تتحقّقُ بالمحافظة على النسق المعتاد للتركيب، إذ لكلٍّ من التركيب الأصلي والتركيب الطارئ فائدة يتطلبها السياق ويقتضيها المقام، ولا ينوب أحدهما عن الآخر في ذلك.

ويتضح للباحث أنَّ الثابت في الأحكام النحوية أنّ العدول بالتراكيب عن الترتيب الأصلي يوجب تغيّرًا في الأحكام وفي المعنى، ولنا أن نتساءل عن هذا التغير في تركيب الشرط المعدول هذا، ولربما يكون الجواب عن تغير الحكم بأن الجملة الشرطية التي تقدم فيها ما يشعر بجواب الشرط هي جملة ناقصة بلحاظ الصنعة النحوية، حُذف منها الجواب، لكنها تامّة الفائدة، مكتفية بترتيبها الجديد، ذات دلالة مميزة مختصة بالعناية بالجواب المتقدم، فبالتقديم

(١) ينظر: بحار الأنوار ١٣/ ١٨٠، ونور الثقلين ٢/ ١٧٧.

يحصل تخصيص، أو اهتمام بالمقدم أو عناية أكبر[١]، وهذا يختلف عن معنى الجملة قبل التقديم.

ففي قول هذينِ الرجلينِ المؤمنَينِ قُدِّمَ الجواب ﴿**وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا**﴾ على أداة الشرط وفعل الشرط ﴿**إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾، وهذا يستدعي التوقف عنده، فتقدُّم الجزاء هنا للعناية به؛ إذ هو موضعٌ للترهيب أو التخويف أو بيان المآل فتطلب ذلك تقديمه، ذلك أنَّ عدم التوكُّل على الله سبحانه ولاسيَّما في الأمور الشديدة ومنها ساحات الحرب موجبٌ للوهن والجبن والفشل، فهو إخبار واقع قد تيقّن مُخبِراه بوقوعه، ومضى عندهما فعله، فثبتت لهما حقيقته فأخبرا بها إخبار إحاطة لا تحصيل.

٤- ممّا تقدُّم من بيان في النقطة التي سبقت، والتركيب الذي انتظم قول الرجلينِ، يظهر الحكم على بني إسرائيل من قوم موسى عليه السلام بأنّهم قوم غير مؤمنين بالله سبحانه، وغير مطيعين لنبيِّهم، ولذا اقتضت الحكمة ابتلاءهم بالتيه والضياع مدة أربعين سنة في الصحارى والقفار، حتى نجح الجيل الذي بعدهم في دخول الأرض المقدسة، بعد أن حققوا الشروط التي فُرضت عليهم لاستحقاق هذه المِنّة الإلهية[٢].

القسم الثاني: أقوال المؤمنين الذين قاتلوا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله):

أمّا ما يخصّ كلام المؤمنين الذين قاتلوا مع نبينا الأكرم، فقد نقل القرآن الكريم طرفًا منه في غزوة (حمراء الأسد)، وهي غزوة كانت بعد وقعة أُحد، وما أصاب فيها المسلمون من انكسار، فقد انتدب رسول الله أصحابه المؤمنين أن يخرجوا إلى ملاقاة كفّار قريش مع ما بهم من الجراحة والأذى، فبعث المشركون مَن يرجف بجيش الإسلام ويوهن

(١) ينظر: دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني ١/ ١٠٧، والإيضاح في علوم البلاغة، جمال الدين القزويني ٢/ ٥٠، ١٦٥.

(٢) ينظر: الأمثل ٣/ ٦٦٢.

عزيمته [١]، فكان جواب هؤلاء المؤمنين (سورة آل عمران/ الآية ١٧٣) أنْ ﴿**الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**﴾.

و(حَسْب) اسم متمكن، إمَّا على أنَّه اسم فاعل بمعنى (كافينا)، فيعرب مبتدأ خبره لفظ الجلالة، أو على أنَّه اسم فعل ماضٍ، بمعنى: كَفَاهُ الله، ولفظ الجلالة فاعله.

والقول بأنَّه اسم أولى، لجواز دُخُول حرفِ الجرِّ عليه واستعمالِه صفةً، وَجَرَيَانِ حركاتِ الإعرابِ عليه [٢]. فضلاً عن مناسبة الجملة الاسمية بعد القول للدلالة المرادة، لما في هذه الجملة من قوة المعنى وثباته، في مقام يكشف عن شدة إيمان القائلين (حسبنا الله) وترتُّب كلامهم على ما تضمره سرائرهم، من صدق الاعتقاد بكفاية الله لهم وأنّه هو وحدَه ناصرهم، لذا يجب التوكُّل عليه في تدبير أمورهم، فاجتمع صدق النيّة والكلام الكاشف عنها، والعمل المتوجب على ذلك، فتحقق النصر ﴿**فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ**﴾، وإنّما نُكِّر (فضل) هنا، لإعمامه، ولذهاب خاطر السامع فيه كلّ مذهب، فقيل: هو فضل الزرع والتجارة، وقيل: هو زيادة الإيمان وثبات العقيدة والخروج عن العصيان والخذلان كما حصل في غزوة أحد، وإنمّا عرِّف (الفضل) الثاني ووصف بالعظيم، لكونه منسوبًا إلى الله سبحانه، وإعظامًا لشأن الفضل الأوَّل، إذ مَنَّ الله عليهم بانهزام عدوهم، وفراره من دون قتال، مع ما هم عليه من ضعف الحال بكثرة الجراح، وعظيم الشدة[٣].

وفي غزوة الأحزاب نقل القرآن الكريم كلام المؤمنين المُبِين عن تصديقهم بإخبار الله ورسوله إيّاهم باشتداد المحنة عليهم نتيجة لاجتماع الأحزاب لمقاتلتهم، ولكن العاقبة ستكون للمؤمنين، فقال تعالى (سورة الأحزاب/ ٢٢): ﴿**وَلَمَّا رَأَ الْمُؤْمِنُونَ**

(١) ينظر: التبيان٣/ ٤٩، ومجمع البيان ٣/ ٣٩٩.
(٢) ينظر: البحر المحيط، أبو حيان النحوي ٢/ ٣٣٣.
(٣) ينظر: الكشاف، الزمخشري ١/ ٤٤٢.

الْأَحْزابَ قالُوا هَذا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَما زادَهُمْ إِلاَّ إِيماناً وَتَسْلِيماً﴾.

فالآية كاشفة عن أنَّ قول المؤمنين فيه إحالة على وعدٍ قد سبق، كانت نتيجته هذا الإيمان الثابت والتسليم المحض، يشهد لذلك سياق الآية الداخلي بانتظام عباراته، وسياقها الخارجي الذي فُسِّرت به مناسبة الآية الكريمة[1]، فضمير الإشارة للقريب(هذا) وما بعده، فيه إحالة على واضحة إلى وعدٍ إلهي قد سبق من الله وتبليغ من رسوله الأكرم إلى هؤلاء المؤمنين مفاده ما وضحته الآية الكريمة النازلة قبل هذه الحادثة بعام تقريبًا، ومفاد هذا الوعد إخبار عن حال الأمم التي خلت مع رسلهم وما نطقوا به حين اشتدت بهم المحن وتزلزلت أقدامهم وقلوبهم بالاختبارات، ليأخذ المؤمنون العبرة لما سيصيبهم من امتحانات إلهية، فيتصرفون على وفق ما علمهم الله ورسوله في قوله تعالى(سورة البقرة / الآية ٢١٤): ﴿**أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْساءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ**﴾.

فقد بيّن لهم الله تعالى ورسوله الأكرم من قبلُ: أنَّكم – أيُّها المؤمنون – ستخضعون لاختبارات عسيرة، فلمّا رأوا ما أصابهم على إثر محنة الأحزاب من عسرٍ وشدة وتزلزل تيقنوا صدق ما خُبِّروا به فتجاوزوا المحنة وقالوا قولهم الدالّ على الإيمان والتسليم.

وفي الآية إظهار لعلوِّ شأن رسولنا الأكرم عند الله، إذ تُنبئ الآية قطعًا بأنَّ نبيّنا لم يكن من القائلين (**مَتى نَصْرُ اللَّهِ**) حتى مع اشتداد المحن وتكالب النوائب، فهو المبلغ عن الله أنَّ المؤمنين من أمته يجب أن يتحلَّوا في الشدائد وعند تزلزل القلوب بالإيمان المطلق والتسليم التام. وفيها أيضًا إظهار لشأن مؤمني هذه الأمة، وشدّة حرص الباري (عزّ وجلّ) ورسوله المكرّم، على العناية بأمورهم وتعليمهم طرائق الخلاص من محنهم، وتشريف مقاماتهم بنقل أقوالهم الكاشفة عن امتثالهم لأوامر الله والتصديق بما ورد

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج ٤/ ٢٢٢، والكشاف ٣/ ٥٣١، والأمثل ١٣/ ١٩٨.

عن رسوله، والتسليم لهما في المحنة والشدة.

ومن الجدير بالبيان أنَّ قول المؤمنين هذا قد ذكرته الآية الشريفة في قبالة الأقوال والأفعال التي صدرت عن المنافقين في غزوة الأحزاب، وقد نقلتها الآيات التي سبقت ذلك، إذ يقول تعالى في(سورة الأحزاب/ الآيات ١٨-٢٠): ﴿**قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقائِلِينَ لِإِخْوانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنا وَلا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلاَّ قَلِيلًا (١٨) أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذا جاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمالَهُمْ وَكانَ ذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (١٩) يَحْسَبُونَ الْأَحْزابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بادُونَ فِي الْأَعْرابِ يَسْئَلُونَ عَنْ أَنْبائِكُمْ وَلَوْ كانُوا فِيكُمْ مَا قاتَلُوا إِلاَّ قَلِيلًا**﴾.

فالآيات توازن بين أقوال هؤلاء المؤذنة بما يداخل قلوبهم من الخوف وقلَّة الإيمان والشكِّ في ما وعد الله به رسوله الأكرم وأنصاره المؤمنين من الظفر والفوز.

وأقوال المؤمنين حينما نزل الأحزاب بساحتهم ورأوا كثرة عددهم وتفوُّق عدتهم الحربية، وعلموا أنّهم قد ابتلوا وزلزلوا، فقالوا قولتهم الدالّة على أنَّهم قد وطّنوا أنفسهم على التصديق بوعد الله ورسوله والامتثال لما ورد فيه من تبليغ والطاعة له والتسليم[١]

وفي الآية بيان لوعي المؤمنين في تلك المحنة الشديدة، وذلك الاختبار الصعب، إذ تكالب الأعداء عليهم وجمعوا عديدهم وعدتهم، لاستئصال الإسلام وأهله، فما كان من الرسول الأكرم إلا أن خفّف الوطء عليهم، فأخبرهم بما سيحدث قبل أن يكون، فلمّا رأى المؤمنون صدق الجزئية الأولى للإخبار، علموا صدق الجزئية الأخرى[٢]، وتيقّنوا أن النصر لهم لا محالة، فزادهم ذلك إيمانًا وتسليمًا، فتحقّق النصر الموعود، وانكسرت شوكة الكفار، وزال خطرهم، وقويت شوكة الإسلام، ونجح المؤمنون

(١) ينظر: التحرير والتنوير ٢١/ ٣٠٤.
(٢) ينظر: الأمثل ١٣/ ١٩٨.

في الاختبار واكتسبوا مراتب عالية في الإيمان والتصديق والتسليم، استعدادًا لإنجاز مهماتهم الإلهية اللاحقة، فكانت النتيجة كما حكاها القرآن الكريم.

خلاصة البحث:

درس البحث جملةً من أقوال المؤمنين في النصِّ القرآني الواردة في ساحات القتال، دفاعًا عن الدين والعقيدة، إذ كشفت هذه الأقوال عن مراتبهم واستحقاقاتهم، بناءً على أمور متعددة بيّنها النصّ القرآني، أهمها: اختلاف مقامات الاستعداد، وقوة العزيمة، وتباين نيّة المقاتلين عند خوض المعركة، فورد الجزاء على قدر النيّة الباطنية والفعل الظاهري، وكانت الألفاظ التي وردت في النص القرآني أمارةً على تلك النيّات ومقدار الفعل ومرتبة الجزاء المُعَدِّ لكلّ ذلك. وحاول البحث أيضًا أن يظهر لمحات بيانية مميّزة في الكلام المنتظم لهذه الأقوال.

وبحسب المادة التي تجمعت لديّ ومتطلبات تنظيمها، قُسِّمت تلك الأقوال على قسمين، أحدهما: أقوال المؤمنين في المعارك التي وردت قبل الإسلام: درس فيها البحث ثلاثة نصوص، ضمَّ الأول أقوال المؤمنين الذين قاتلوا مع الملك طالوت، واحتوى الثاني على قول الرِّبِّيّين الذين قاتلوا بإمرة مجموعة من أنبيائهم، واشتمل الثالث على قول الرجلينِ المؤمنَينِ من قوم النبي موسى عليه السلام، فذكر القرآن الكريم ما صدر عنهم من أقوال وأفعال على سبيل القدوة الحسنة التي يجب أن يتبعها ويقتدي بها المؤمنون من أمّة خاتم الأنبياء والمرسلين.

والقسم الآخر: شمل أقوال المؤمنين الذين قاتلوا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم)، في واقعتين مختلفتين، إحداهما كانت بعد وقعة أحد وسُميّت بوقعة (حمراء الأسد)، والأخرى كانت في وقعة الأحزاب.

على أنّ البحث بيّن أن الصلة وشيجة بين أقوال المؤمنين الواردة في القسمين، وأن

الرابط بينهما هو الغرض الذي ذُكرت هذه الأقوال في النص القرآني لأجله، فهي إنّما وردت لبثّ العزيمة ورفع معنويات المقاتلين السائرين في ركاب هؤلاء المؤمنين، وتذكيرهم بالاقتداء بما صدر من أقوال هؤلاء السالفين، الكاشفة عن مقامات نفوسهم العالية، والحثّ على تدبّر تلك الأقوال والانتفاع من مضامينها، وأخذ العبرة منها لتحقيق النصر على الأعداء.

وما أحوجنا اليوم – ونحن في هذه الظروف العصيبة التي نواجه فيها هجومًا شرسًا على معتقداتنا ومقدساتنا وأمن بلادنا – أن نتدارس هذه الأقوال، ونتدبّر في مقدماتها التي قادت إلى نتائج رفيعة وعواقب سعيدة، أعلاها لقاء الله على رضا منه، وهو غاية كلّ مخلوق.

مصادر البحث ومراجعه:

١. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، نشر مدرسة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، قم، ١٤٢٦هـ.

٢. الإيضاح في علوم البلاغة: جلال الدين القزويني (محمد بن عبد الرحمن بن عمر ت٧٣٩هـ)، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، ط ٣، (د.ت).

٣. بحار الأنوار: محمد تقي المجلسي (ت: ١٠٧٠هـ) مؤسسة الوفاء، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ.

٤. البحر المحيط في التفسير: أبو حيان النحوي(محمد بن يوسف بن علي ت ٧٤٥ه)، تحقيق صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠ه.

٥. التبيان في تفسير القرآن: الطوسي (أبو جعفر محمّد بن الحسن ت٤٦٠ هـ)، تحقيق أحمد حبيب قصير العامليّ، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ١٤٠٩هـ.

٦. التحرير والتنوير: ابن عاشور (محمد الطاهر بن عاشور التونسيّ ت١٣٩٣ هـ)، الدار التونسيّة للنشر، تونس، ١٩٨٤هـ.

٧. درج الدرر في تفسير الآي والسور: عبد القاهر الجرجاني(أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد ت٤٧١هـ)،تحقيق طلعت صلاح الفرحان، ط١، دار الفكر، الأردن، ٢٠٠٩ م.

٨. دلائل الإعجاز: الجرجاني، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، دار المدني، جدة، ط ٣، ١٩٩٢م.

٩. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: الزمخشري (محمود بن عمر ت ٥٣٨هـ)، رتبه وضبطه وصححه مصطفى حسين أحمد، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٤٧ م.

١٠. مجمع البيان في تفسير القرآن: الطبرسي (أبو علي الفضل بن الحسن ت ٥٤٨ هـ)، دار الفكر ـ ودار الكتاب اللبنانيّ، بيروت، ١٩٥٦م.

١١. مـدارك التنزيل وحقائق التأويل: النسفي (أبـو البركات عبد الله بن أحمد ت٧١٠هـ)، تحقيق يوسف علي بديوي، ط١، دار الكلم الطيب، بيروت، ١٩٩٨م.

١٢. معاني القرآن وإعرابه: أبو إسحاق الزجاج (إبراهيم بن السري بن سهل ت ٣١١هـ)، تحقيق عبد الجليل عبدة شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٨٨م.

١٣. مواهب الرحمن في تفسير القرآن: السيد عبد الأعلى الموسوي السبزواري (ت: ١٤١٤هـ)، دار التفسير، قم، ٢٠٠٧م.

١٤. الميزان في تفسير القرآن، السيد محمّد حسين الطباطبائيّ (ت: ١٤٠٢ هـ)، ط١، منشورات مؤسّسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، ١٩٩٧م.

١٥. نور الثقلين الشيخ عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي: تحقيق علي عاشور، ط١، بيروت،٢٠٠١م.